

## الوقف وأثره البلاغي في النص القرآني «دراسة في نماذج قرآنية»

### PAUSE AND ITS RHETORIC AFFECT ON HOLLY QURAN TEXTS: STUDY IN QURAN SAMPLES

Dr. Abdul Karim Hussein  
RAADAN  
Hadhramaut University,  
YEMEN

الدكتور: عبد الكريم حسين رعدان

جامعة حضرموت، اليمن

[r.adan2009@hotmail.com](mailto:r.adan2009@hotmail.com)

Pr. Dr. Amin Abdullah AL  
YAZIDI  
Hadhramaut University,  
YEMEN

الأستاذ الدكتور: أمين عبد الله اليزيدي

جامعة حضرموت، اليمن

[r.adan2009@hotmail.com](mailto:r.adan2009@hotmail.com)

Accepted: 2019/07/02

قبل للنشر:

Received:

2019/06/24

استلم:

#### ملخص:

هذا البحث المسمى: (الوقف وأثره البلاغي في النص القرآني: دراسة في نماذج قرآنية) هو دراسة وصفية تطبيقية لأثر الوقف بلاغياً من خلال الأداء الصوتي/ التلاوة القرآنية، وارتباطها بالرسالة اللغوية. واشتمل البحث على محورين؛ المحور الأول: مفهوم الوقف وأهمية العلم به، وفوائده لتحسين الأداء وإتقان القراءة الجهرية، واكتشاف جمال الإيقاع الناتج عن مواضع الوقف. والمحور الثاني: أثر الوقف بوصفه أسلوب أداء له أثار بلاغية تتمثل في؛ توجيه الدلالة لمعرفة تفسير النص القرآني والتأثير على المتلقي وإقناعه، إذ تضمنت النماذج القرآنية التي استعرضها البحث عدداً من الأغراض البلاغية

للوقف، كالاستنكار، التنبيه والتحذير والإغراء والتشويق، والتعليل والتخصيص والتعميم والتأكيد، وإثبات صفة أو نفيها أو إخبار أو إمتاع سمعي.

الكلمات المفتاحية: الوقف؛ البلاغي؛ النص القرآني؛ نماذج.

### Abstract :

*The Research is applied and descriptive study for the affect of the rhetoric pause via performance and sound and Reciting Quran and its involvement with linguistic message as well. The Research consists of two main parts. Part one: the concept of the pause, the importance of knowledge of the pause, It's benefits to develop performance master loud reading and to discover the beauty of intonation. Part two: the affect of the pause as to be considered as a manner of performance that has rhetoric such as lead to reference understand the Holy Quran texts and its influence and convince upon listeners. The Research investigates some of the Quran texts which consists of number of rhetoric purposes of the pause. For instance, alarm, warm, inspiration, specialization, generation, ensure, prove and disprove items or inform audience interests.*

**Keywords :** *Pause; Rhetoric ; Quran Text; Samples.*



## مقدمة:

الوقف صورة من صور الأداء، ومن أهم قضايا الكلام المنطوق، وهذا يعني أن الوقف جزء من النص، وهو من عمليات بنائه وإنجازته، وعلى المتلقي أن يفهمه كذلك، إن كان لديه قدرة تداولية. وقد أراد الباحثان أن يبيحا في بلاغة أداء النص القرآني من خلال النظر في أثر الوقف في الرسالة اللغوية من حيث الدلالة والتأثير في المتلقي، ومن المعلوم أن أداء الرسالة اللغوية جزء من بنيانها اللغوي، ويتساق مع بنيتها النحوية وغرضها الدلالي؛ إذ قد تتوقف دلالة العبارة ومن ثم فهمها وفق أدائها.

وهناك دراسات عديدة بحثت في الوقف والإبتداء وناقشته في جوانب معنوية وفي توجيهات نحوية<sup>(1)</sup>، إلا أن الجانب البلاغي لمواضع الوقف في القرآن ظل بعيدا عن دوائر البحث. ولما كان موضوع الوقف وأثره البلاغي متشعبا ويصعب الإحاطة به في دراسة قصيرة كهذه، فإنه سيقصر التطبيق على نماذج من النص القرآني. وسينظر في هذا الموضوع من محورين: المحور الأول يبحث في الوقف من حيث هو أسلوب أداء، فيشمل التعريف بالوقف وأهمية العلم بالوقف، والتلاوة من حيث علاقتها بالدلالة؛ كل ذلك في إيجاز بقدر ما تسمح به محدودية الدراسة. أما المحور الثاني فهو مرتكز ضرورة على المحور الأول وسيبحث في أثر الوقف بوصفه أسلوب أداء له تأثير في الرسالة اللغوية، وسيقتصر على: أثر الوقف من الناحية البلاغية، متبعًا الاستقراء والاستنتاج وسيلة إجرائية للوصول إلى الجوانب البلاغية المرتبطة بالأداء.

(1) ينظر: صالح، إبراهيم عوض، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، جامعة الأزهر 2006م. وينظر: معيلي: د. عادل، وبين عبيد الله، د. سالم مبارك: (الوقف وأثره النحوي)، بحث علمي مخطوط، جامعة حضرموت.

## تمهيد:

يساعد الأداء الجهوري الصحيح في تحقيق وفهم صفات الحروف وأصواتها ومخارجها وما يتعلق بها في ذاتها من اللغة، وبما يتناسب ويتوافق مع صيغة وطبيعة الخطاب؛ ذلك أن هذا التصويت هو خاصية كل قوم؛ فالتمثيل الفعلي للغة يتمثل في إحدى أهم صورهِ في التمثيل الجهوري للنصوص الراقية. وسينظر في هذه الدراسة إلى مفهوم التلاوة/ القراءة على أن: الأداء القرائي الجهوري للنص بما يتوافق وطبيعة النص الأسلوبية ( نثر / شعر / قصة) وهو هنا النص القرآني، وبما يتوافق أيضاً وعلامات الضبط المصاحبة للنص القرآني المكتوب كونها علامات دالة ووضعت لتدل على دلالات. ومن ثم فالوقف يُعدُّ عنصراً تداولياً لأنه يدخل في النظر إلى اللغة من اتجاه علاقتها بالسياق وبمستعملها. لذا فهو - أيضاً - يمكن أن يُعدَّ ظاهرة من الظواهر الأسلوبية المتعلقة بالأداء وفقاً لما مضى تأسيسه، وللآتي<sup>(1)</sup>:

- 1- سمة من سمات القراءة الجهرية، وهو سمة من سمات القراءة القرآنية ( التلاوة).
- 2- يتسم بالتكرار والتنوع بما يسمح بملاحظته ومراقبته.
- 3- له أثره الواضح في أسلوبيات الجهر، وتوصيل الخطاب للمتلقي لإقناعه وإمتاعه.
- 4- له أثره الواضح في شكل أداء النص، من حيث: التنغيم، والمدود، والأحكام المتعلقة بالنون الساكنة والتنوين، ونحوها.
- 5- تَوَقَّف بعض الدلالات الإيحائية والدلالية عليه، كالفصل والوصل، وتركيز الدلالة أو تحريرها من ظاهر السطح اللغوي إلى دلالات أخرى كالتنبيه والتحذير والتأكيد ونحوها.

(1) معيلي: د. عادل، وابن عبيد الله، د. سالم مبارك: (الوقف وأثره النحوي)، بحث علمي مخطوط، جامعة حضرموت. ص3.

## المبحث الأول: الوقف: (تعريفه، وأهمية العلم به)

## تعريف الوقف:

للقوف معان لغوية عديدة، منها: (الحبس، والسكوت)<sup>(1)</sup>. وفي «علمي النحو والقراءات العربيين هو: (الكف) عن مواصلة القراءة بسبب من الأسباب، كتفادي تجزئة المعنى الواحد، أو البدء بما يفسد المعنى، أو أن القارئ لا يسعفه التنفس... و(الوقفة)، وهي: برهة انقطاع عن مواصلة الكلام في القراءة، إمّا لانتهاه المعنى، أو جزء منه، وإمّا لأنّ التنفس لم يسعف القارئ في مواصلة الكلام. ويكون ذلك في الشعر بين شطري البيت أو في نهايته، أو نهاية مقطع شعري.

وعند العرب كان للوقفة مبحث خاص لدى القراء، فوضعوا في المصاحف رموزاً وإشارات لتهدّي القارئ إلى موضع الوقف<sup>(2)</sup>.

كما يُعرّف الوقف بأنّه «قطع الكلمة عما بعدها، وفيه وجوه مختلفة في الحسن والمحلّ»<sup>(3)</sup>. وهو «ضدّ الابتداء لأنّه يكون عند انتهاء الكلمة، ولمّا استحال الابتداء بالسّاكن استحسنوا في ضده، وهو الوقف، ضدّ الحركة، وهو السكون»<sup>(4)</sup>.

- 1) ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: إبراهيم اليازجي وآخرين، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ. ج9، ص360.
- 2) وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، مزيدة ومنقحة، مادتي: الوقف، الوقفة، ص436، 437.
- 3) المالكي، عثمان بن عمر، الشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010م. ص79.
- 4) العكبري، ابو البقاء عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ\_1995م. 196/2.

ويُفرّق بين (الوقف) و(السكت) و(القطع)؛ فالقطع عبارة عن « قطع القراءة رأساً، فهو كالانتهاء، فالقارئ به كالمعترض عن القراءة، والمنتقل إلى حالة أخرى غيرها، وهو الذي يستعاذ بعده للقراءة المستأنفة، ولا يكون على رأس آية؛ لأنّ رؤوس الآي في نفسها مقاطع... والوقف عبارة عن قطع الصوت عن الكلمة زمنياً يتنفس فيه عادة، بنية استئناف القراءة، لا بنية الإعراض، ويكون في رؤوس الآي، وأوساطها، ولا يأتي في وسط الكلمة، ولا فيما اتصل رسماً... والسكتُ عبارة عن قطع الصوت زمنياً، هو دون زمن الوقف عادة، من غير تنفّس»<sup>(1)</sup>.

وهي مسائل أداء تتعلق بالزمن، مما يجعل هذه الفترة من التوقف استراحةً للقارئ، وتأملاً للمتلقي، وفصلاً بين المعاني والأحكام في الجملة، وهذا بدخول عامل الزمن.

وقد كان للنحاة القدماء جولات موفقة، في بحث ما يصيب الكلمة من تغير في حالة الوقف وإنهاء الكلام، وقد بحثوا هذا في باب مستقل من أبوابهم، كما كان للقراء جولات في الوقف، وبينوا أساليب الوقف، وأنواعه، وغير ذلك مما نراه في كتب القراءات<sup>(2)</sup>.

ولا يخلو علم اللغة الحديث من النقاش حول الوقف، إذ يعد عنصرًا مورفولوجيًا هامًا يرتبط بسياق الدلالة ويؤدي ما تؤديه النغمة<sup>(3)</sup>.



(1) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتيقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م. 1/ 299.

(2) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 7، 1985م، 220.

(3) ينظر: السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر، القاهرة ط 1، 1992م. ص 184.

### أهمية العلم بالوقف والقراءة:

معرفة الوقف ومواضعه مما لا بد منه للقارئ والمرتل، فهو من تمام معرفة القرآن، ومن متطلبات الترتيل<sup>(1)</sup>. ولمَّا كان القارئ لا يستطيع أن يقرأ السورة أو القصة في نفس واحد، وكان حصول الوقف في غير موضعه، قد يحيل المعنى ويخل بالفهم، فقد اشترط كثيرٌ من الخلف أن لا يُجاز أحد إلا بعد معرفته الوقف والابتداء.

وفي هذه الدراسة فإنَّ العلاقة بين التلاوة/ القراءة، وبين الوقف، يمكن أن نراها -فضلاً عما سبق- في الآتي:

1. التوافق مع الأمر بالترتيل، «فإنَّ مما يدعو إلى الوقف، في موضع الوقف، الترتيل، فإنَّه أعون شيء عليه، وقد أمر الله تعالى به رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (ورتل القرآن ترتيلاً)<sup>(2)</sup>.
2. العلم به ومواضعه أمانة البلاغة وإجادة القول، وقد «استأنس له ابن النحاس بقوله ﷺ لِلْحُطْبِيبِ: «بَسَّسَ الْحُطْبِيبُ أَنْتَ» حين قال (أي الخطيب): من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصمها. وَوَقَّفَ قَالَ قَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَصِلَ كَلَامَهُ، فيقول: ومن يعصمها فَقَدْ غَوَى، أَوْ يَقِفَ عَلَى: وَرَسُولِهِ فَقَدْ رَشِدَ. فإذا كان مثل هذا مَكْرُوهًا فِي الْحُطْبِيبِ، ففِي كَلَامِ اللَّهِ أَشَدُّ<sup>(3)</sup>. وقد قال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لقبح لفظه في وقفه، إذ خلط الإيمان بالكفر في إيجاب الرشد لهما، وكان حقه أن يقول واصلاً: ومن يعصمها فقد غوى. أو يقف على «فقد رشد» ثم يستأنف بعد ذلك: «ومن

(1) الإقتان، 1/ 282 وما بعدها.

(2) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م. 1/ 368.

(3) نفسه، 1/ 343.

يعصهما...»، فهذا دليل واضح على وجوب مراعاة محل الوقف. ومن ذلك ما يكون في التخاطبات العامة أو الخاصة، يورد ابن رشيقي «أنَّ (بغضض) كان يصاحب الأمير فيقول: لا صبح الله الأمير بعافية، ويسكت، ثم يقول: إلا ومساءه بأكثر منها، ويماسيه فيقول: لا مسى الله الأمير بنعمة، ويسكت سكتة ثم يقول: إلا وصبحه بأتم منها، أو نحو هذا فلا يدعو له حتى يدعو عليه، ومثل هذا قبيح»<sup>(1)</sup>. وروى عن ابن عمر - رضى الله عنهما - أنه قال: لقد غشينا برهة من دهرنا، وإن ألدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على النبي صلى الله عليه وسلم، فتتعلم حلالها وحرامها وأمرها، وزجرها، وما ينبغي أن يوقف عنده منها. وجاء عن علي - رضى الله عنه - لما سئل عن قوله ﷻ: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾<sup>(2)</sup> قال: الترتيل معرفة الوقوف وتجويد الحروف<sup>(3)</sup>. ويرى ابن الجزري أنَّ في كلام علي دليل على وجوب تعلُّم الوقف والابتداء ومعرفته. وأنَّ في كلام ابن عمر برهان على أنَّ تعلُّمه إجماع من الصحابة، وصحَّ بل تواتر عندنا تعلُّمه والاعتناء به من السلف الصالح، كأبي جعفر ويزيد ابن القعقاع - أحد القراء العشرة - وإمام أهل المدينة الذي هو من أعيان التابعين، وصاحبه الإمام نافع بن أبي نعيم وأبي عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي، وعاصم بن أبي النجود - وهم من القراء العشرة - وغيرهم من الأئمة، وكلامهم في ذلك معروف، ونصوصهم عليه مشهورة في الكتب ومن ثمَّ اشترطه كثير من أئمة الخلف على المجيز أن لا يجيز أحداً إلا بعد معرفته الوقف والابتداء،

(1) القيرواني، أبو الحسن بن رشيقي، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م. 1/241.

(2) المزمّل: 4.

(3) الصفاسي، علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله. ص 128.



وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف، ويشيرون إلينا فيه بالأصابع سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين -رحمة الله عليهم أجمعين<sup>(1)</sup>. وروي أن عمر بن عبدالعزيز كان إذا دخل شهر رمضان قام أوّل ليلة منه خلف الإمام يريد أن يشهد افتتاح القرآن، فإذا ختم آتاه أيضاً ليشهد ختمه فقرأ الإمام قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾<sup>(2)</sup>، ثمّ توقّف عن القراءة وركع فغابه عمر وقال: قطعت قبل تمام القصّة، إذ كان ينبغي عليه أن يكمل الآية التي بعدها، إذ فيها ردُّ القرآن على دعواهم هذه، وهو قوله ﷺ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(3)</sup>. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ الْمَلِكَ كَانَ مَعِيَ فَقَالَ: اقْرَأِ الْقُرْآنَ، فَعَدَّ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرَفٍ، فَقَالَ: لَيْسَ مِنْهَا إِلَّا شَافٍ كَافٍ مَا لَمْ تَخْتَمِ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ، أَوْ تَخْتَمِ رَحْمَةً بِعَذَابٍ<sup>(4)</sup>». وعلق على ذلك أبو عمرو الداني فقال: إنّ هذا تعليم التمام من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام، إذ ظاهره دالّ على أنه ينبغي أن تقطع الآية التي فيها ذكر النار والعقاب، وتفصل ممّا بعدها، إذا كان بعدها ذكر الجنة والثواب، والأمر كذلك أيضاً، إذا كانت الآية فيها ذكر الجنة والنار، بأن يفصل الموضع الأول عن الثاني. وعقب السخاوي بقوله: إنّ القارئ إذا وصل غير المعنى، فمثلاً في قوله ﷺ: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى

(1) ينظر: ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، (1/ 225)، وينظر: النوري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2003م، 1/ 261، وينظر: تبيين الغافلين/ 129.

(2) البقرة / 11.

(3) البقرة / 12.

(4) أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت - كتاب الصلاة - 76/2.

الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقِبِيَ الْكَافِرِينَ النَّارُ<sup>(1)</sup>، إذا وصل: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقِبِيَ الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ غير المعنى وصيّر الجئة عقبى الكافرين<sup>(2)</sup>.

3. تتأثى به معرفة معاني القرآن، واستنباط أدلة الشرع<sup>(3)</sup>. واكتشاف دلالات غير مُصرَّح بها.

4. يقبح الوقف في غير موضعه، فكما كان للوقف في موضعه مزية، كان للعكس من الحال

العكس من الحكم؛ إذ إنَّ ذلك يغير المعنى ويفسده ويزيله عن جهته.

5. ارتباطه بعلوم اللغة الأخرى، وحاجتها إليه، وحاجته إليها. «وهو فن جليل، و به يعرف

كيف أداء القرآن، ويترتب على ذلك فوائد كثيرة، واستنباطات غزيرة، وبه تتبين معاني الآيات ويؤمن الاحتراز عن الوقوع في المشكلات»<sup>(4)</sup>.

وللتلاوة/ القراءة بصفتها صورة من صور الأداء التداولي عدة فوائد ودلالات منها:

1- طريقة القراءة وإتقانها تعبران عن مدى استيعاب القانون اللغوي والنحوي والتزامهما. على

سبيل المثال في البلاغة أو القراءة الشعرية، فإن تحويل الخطاب من خبر إلى استفهام أو تهديد أو نحو ذلك من الأغراض المجازية يكون عبر الأداء وفهم القارئ لطبيعة النص، عن طريق التعبير الانفعالي أو

النبرة أو الوقف..<sup>(5)</sup>.

(1) الرعد /35.

(2) يُنظر: السخاوي، علي بن محمد، جمال القراءة وكمال الإقراء، تحقيق: د. مروان العطية - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، ط1، 1997م. ص670.

(3) عبد الله، محمد فريد، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، المكتبة الجامعية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2008م، ص8.

(4) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1/ 342

(5) (جيلين، ولسون. سيكولوجية فنون الأداء، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، العدد (258) يونيو 2000م. ص167.

2- «لطريقة القراءة من حيث الجهر بها أو الإخفات فيها أثر في اكتساب مفردات اللغة أيضاً فمع أن القراءة الصامتة لها إيجابيات وفوائد في زيادة وسرعة استيعاب القارئ لما يقرأ، وفي توفير جهده ووقته، وتوفير الهدوء له ولمن يحيط به أو يجالسه، وفي تخيل المعاني التجريدية والعبارات لما توحى به من صور، فإن للقراءة الجهرية إيجابياتها وفوائدها الكثيرة من حيث اكتساب المهارات اللغوية بنحو خاص، فعند القراءة جهراً يتعرف القارئ نواحي الانسجام والتواؤم الصوتي والموسيقي للألفاظ والتراكيب؛ فيتذوقها ويمثلها ويمثل معانيها. ومما يزيد من تصوره لها ومدلولاتها ومعانيها أنه يراها هنا يبصره وينطقها بلسانه ويسمعها وهو ينطقها بأذنه، فتتجسد في ذهنه أو مخيلته فيسهل عليه تصورها واسترجاعها. هذا إضافة إلى أن للقراءة الجهرية آثاراً إيجابية ملحوظة في تحسين النطق وتدريب أعضائه وبالتالي تنمية الملكة اللغوية والبيانية لدى القارئ»<sup>(1)</sup>.

3- هناك جمالات مخبوءة في النص لا تنكشف إلا لمن يترجمها إلى أصوات (ولعل هذا سر من أسرار الأمر بتلاوة القرآن وترتيله) فالأصوات تمنح الكلمات حياةً جديدة، ويُعَلِّفُها صوت القارئ بشيء من النور يجعلها أوضح للنظر فالأداء الشفهي الصحيح تفسير... وأداء النصوص شفهاً يُقدِّم تفسيراً مزدوجاً: تفسيراً بالصوت للمقطع الذي تقدمه للسامع، وتفسيراً بالتنغيم بالقراءة بصوت مسموع من أبرز مزاياها أنها توفر لنا وسيلة ممتازة للنقد الذاتي، فأن نتعلم قراءة قطعة أدبية هو أن نتعلم الحكم عليها. ودراسة التنغيم تصبح - لا محالة - بحثاً عن المقاصد<sup>(2)</sup>. و«الصوت هو آلة اللفظ

(1) (المعتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية أهميتها وسائل تنميتها عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، العدد (212) أغسطس 1996م.، ص 141- 142.

(2) (فريس، إيمانويل، و موراليس، برنار، اقضايا أدبية عامة، ترجمة: د. لطيف زيتوني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، عدد (300) فبراير 2004م. ص 168

والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت، ولن تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف<sup>(1)</sup>. والقراءة الجهرية وفق طبيعة النص تعين على تلمس مواطن الجمال الأدبي المتعلقة بالأداء، لا سيما في الفصل والوصل والوقف والتنغيم.

4- تعمل القراءة الجهرية وخصوصاً للنصوص الأدبية على تنمية إدراك القارئ للإيقاع وضوابطه، فالإيقاع لا تحكمه ضوابط العروض فقط، (والتي لا تتوافق تماماً مع النص القرآني)، ولا تحكمه (أي الإيقاع) الاعتبارات المنطقية النحوية المألوفة، إن إدراك تنوعات الإيقاع يعني بعبارة أخرى أن تُمَيِّز التشابك أو التفاعل بين الصوت والمعنى، هذا التفاعل يُبَصِّرُنَا كثيراً بالتنوع، وَيُبَصِّرُنَا بالفروق الواسعة بين نظام العبارة في الشعر ونظام العبارة في عرف النثر والنحو، ولكننا كثيراً ما نتفهم حدود العبارة ومجراها بنفس الطريقة التي نتفهم بها عبارة نثرية، أو سوقية، أو عقلية، ونتيجة لهذا كله نخطئ قراءة الشعر وموسيقاه<sup>(2)</sup>.

5- القراءة الجهرية تدريب وتمكين للقارئ أن يتعلم الطريقة التي يمكنه أن يؤثر بها في السامعين من خلال قدرته على نقل الانفعالات عن طريق الأداء اللفظي التعبيري. وعلى صاحب البلاغة ومتعاطي اللغة أن يفهم أن عليه أن ينقل إلى الجمهور انفعاله تجاه موقف هو الآن النص الذي أمامه. فالتعبيرات غير اللفظية من خصائص الكلام القابلة للقياس مثل جهازة أو حجم الصوت Volume

(1) الجاحظ، عمر بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تقديم: علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988م، 84/1.

(2) ناصف، مصطفى، الوجه الغائب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م، ص 181.

ودرجته أو مقامه ، ونغمته، أو سرعته، هي خصائص تنقل معلومات حول الحالة الانفعالية والنوايا الفعلية للمتكلم<sup>(1)</sup>.

### المبحث الثاني: أثر الوقف من الناحية البلاغية

قد يعمل الوقف بوصفه عنصراً من عناصر التصوير والإيجاء في الرسالة اللغوية، وبما يجعله عنصراً تداولياً، ودلالياً، إذا استُخدمَ وفقاً لما تقتضيه اللغة، ويقتضيه المقام؛ لِمَا له من تأثير وأثر في وضوح المعاني ودلالاتها، وابتداء الغايات وانتهائها، وانفصال المعاني أو اتصالها، حتى قيل قديماً: إنَّ البلاغة هي معرفة الفصل والوصل<sup>(2)</sup>. وهما فتان يعتمدان الوقف والابتداء. ولعل هذا يظهر بصورة جلية في الآيات المضمنة الوقف المسمى في اصطلاحات ضبط المصحف بالوقف اللازم. وهذا الأثر يتبع الأثر النحوي لأنه أتى من بنية العبارة. وللوقف أثر جلي وواضح في الجملة أداءً ودلالة، وهو ما يجعل له أثراً في المتلقي، وهو يُخدم بصورة ما عنصر الدلالة والجمال البلاغي للنص اللغوي، وهو في القرآن أظهر منه في غيره، ومن ذلك:

1- له أثر إيقاعي إذ قد يمنع من تكرار اللفظة الواحدة في تتابع ليس مقصوداً لدلالة، «ويدعو إليه اجتناب تكرير اللفظة الواحدة في القرآن تكريراً من غير فصل»<sup>(3)</sup> كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾<sup>(4)</sup> وقوله: ﴿لَسَجْدَ أَسْسٍ عَلَى الْتَقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ

(1) سيكولوجية فنون الأداء، 191.

(2) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البحوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1419هـ. ص 438.

(3) الزركشي، البرهان، 368/1.

(4) [المائدة: 32].

فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين<sup>(1)</sup> فضلا عن أن مبنى الفواصل قائم على الوقف<sup>(2)</sup>.

2- يُظهِرُ اختلاف المقام بحيث يكون ما بعد الوقف غير داخل في حيز ما قبله كالنفي في قوله: ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل.....﴾<sup>(3)</sup> أو الفاعلية في قوله تعالى: ﴿قال الله على ما تقول وكيل﴾ فيقف على (قال) وقفة لطيفة لئلا يتوهم كون الاسم الكريم فاعل (قال) وإنما الفاعل يعقوب عليه السلام<sup>(4)</sup>. أو اختلاف مقام المعنى كما في الحديث عن العذاب أو الرحمة فإنه ينبغي أن يوقف على الآية التي فيها ذكر العذاب والنار، وتفصل عما بعدها نحو ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾<sup>(5)</sup> ولا توصل بقوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾<sup>(6)</sup> وكذا قوله: ﴿حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾<sup>(7)</sup> ولا توصل بقوله: ﴿الذين يحملون العرش﴾<sup>(8)</sup> وكذا ﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾<sup>(9)</sup> ولا يجوز أن يوصل بقوله: (والظالمون) وقس على هذا نظائره<sup>(10)</sup> وكذا يجب الوقف على قوله: ( ولا يحزنك قولهم) ثم يتدنى (إن العزة لله جميعا) وقوله: (فلا يصلون إليكما)

(1) [المائدة: 32].

(2) ينظر: الزركشي، البرهان، 1/ 69.

(3) [المائدة: 32].

(4) الزركشي، البرهان، 1/ 345.

(5) [المائدة: 32].

(6) [المائدة: 32].

(7) [المائدة: 32].

(8) [المائدة: 32].

(9) [المائدة: 32].

(10) المصدر السابق، 1/ 343.

(بآياتنا) <sup>(1)</sup> وكذلك الوقف على قوله: ( يوسف أعرض عن هذا) والابتداء بقوله: (واستغفري لذنبك) فإن بذلك يتبين الفصل بين الأمرين لأن يوسف عليه السلام أمر بالأعراض وهو الصفح عن جهل من جهل قدره وأراد ضره، والمرأة أمرت بالاستغفار لذنبها لأنها همّت بما يجب الاستغفار منه ولذلك أمرت به ولم يهّم بذلك يوسف عليه السلام ولذلك لم يؤمر بالاستغفار منه وإنما همّ بدفعها عن نفسه لعصمته، ولذلك أكد أيضاً بعض العلماء الوقف على قوله تعالى: ( ولقد همّت به) والابتداء بقوله: (وهمّ بها) وذلك للفصل بين الخبرين. وقد قال الداني: إنّه كاف وقيل تام <sup>(2)</sup>.

3- للوقف والأداء أثرهما في الإقناع والاحتجاج، قال الشاعر: <sup>(3)</sup>

تعالتت كي أشجى وما بك علةً  
تريدين قتلي؟ قد ظفرت بذلك

وذلك من خلال التغذية الراجعة لمفهوم آخر غير موجود في البنية النصية ما قبل التذييل، أو ما قبل الوقف، ويقوي المعنى الموجود في النص قبل التذييل، وله ارتباط روحي، أو ارتباط ما، مثلاً: (والله غفور حلیم) <sup>(4)</sup> وغير ذلك ففيه تذكير بالله المشرع للحكم وهو تغذية راجعة

4- تفسير النص، فالوقف والالتزام به يتعلق بالأداء، وللأداء الجيد أثره في تفسير النص للقارئ، وللمتلقي، « فالقراءة الجيدة نصف التفسير » <sup>(5)</sup> وقد روت أم سلمة أنّ قراءة النبي - صلى الله

(1) المصدر السابق، 1/ 345

(2) الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد، المكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط1، 2001م. ص 103.

(3) البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب بيروت. ج2، ص 107.

(4) [المائدة: 32].

(5) المصدر السابق، 167

عليه وسلم - كانت تفسيراً<sup>(1)</sup>. إذ يفصح الأداء الجيد عن معاني قد لا يفصح عنها تألف الألفاظ وتناسقها<sup>(2)</sup>. فالوقف على (الليل) من قوله تعالى: (وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ \* وَيَاللَّيْلِ أَفَلَا تُعْقِلُونَ)<sup>(3)</sup>، لم يكن بسبب إراحة القارئ، فالآيات شديدة القصر، بل لِمَا في التوقف من فاعلية، وإثراء لدلالة التنبيه والتذكير والوعظ والتحذير. ولك أن تقرأ الآية ملتزماً بالوقف، ثم تقرأها غير ملتزم به؛ لتدرك كم هو الأثر الذي تفقده حين لا تلتزم الوقف. فالوقف ليس مستقلاً وإنما هو من توابع التفكير، فالوقفات المضبوطة في مواضع معينة ليست مجرد محطات تنفسية، فالعبرة من الناحية اللغوية ليست بأن يستعيد القارئ نفسه بل رفعاً للبسِّ وصوناً لمقصد المتكلم<sup>(4)</sup>.

5- الإسهام في تكوين الدلالة وتفعيلها وتقريبها من المتلقي، ومن القارئ بوصفه مُرسِلاً للنص لحظة تلاوته. ففي قوله تعالى: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40)<sup>(5)</sup>. نلاحظ أن للتوقف على (السفلى)، ثم الابتداء والرفع بقوله: (وكلمة الله هي العليا)، كأن ( كلمة الله) قد تجاوزت خضوعها لفعل الجعل والتصيير، لأن في كونها ( أي كلمة الله) معمولاً لـ(جعل) أنه إنما كان لغلبة الله تعالى في ذلك الموقف، والحق أنه غالبٌ أبداً. فالجعل - هنا - وفي كل حال لله - يأمر جنوده بفعله وتكوين

(1) أبي داود، السنن. باب الصلاة، 1466

(2) عبد الله، محمد فريد، الصوت اللغوي، 99.

(3) الصفات: 137 - 138.

(4) ينظر: العوني، عبد الستار بن محمد: (مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم)، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد السادس والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر/ديسمبر 1997م، ص: 312.

(5) التوبة/40.



أسبابه، أما كون كلمة الله هي العليا فهو وفقاً لأدائها والتزام حركتها الإعرابية، فهو أمرٌ مستقر لا جدل فيه وإن لم يدرك البشر الإحاطة به، كما أن في ( وكلمة الله هي العليا ) معنى التحدي، والعجز الإنساني أو عجز المخلوق. وقد نظر إلى دلالة الوقف والاستئناف غير واحد من المفسرين، وارتبطت بالقراءات ودلالة كل قراءة، « قرأ الأعمش ، ويعقوب بنصب (كلمة) حملاً على (جعل)، وقرأ الباقون برفعها على الاستئناف . وقد ضعّف قراءة النصب الفراء، وأبو حاتم، وفي ضمير الفصل، أعني ( هي ) تأكيد لفضل كلمته في العلوّ، وأنها المختصة به دون غيرها»<sup>(1)</sup>. وفي قراءة العطف تكون جملة (وكلمة الله هي العليا) ضمن الجملة الفعلية، أما في قراءة الرفع والاستئناف فتكون جملة اسمية « ولا يخفى ما في تغيير الأسلوب من المبالغة؛ لأنّ الجملة الاسمية تدل على الدوام والثبوت، مع الإيذان بأن الجعل لم يتطرق لتلك الكلمة، وأنها في نفسها عالية، بخلاف علو غيرها، فإنّه غير ذاتي بل يجعل وتكلف فهو عرض زائل وأمر غير قار ولذلك وسط ضمير الفصل. وقرأ يعقوب ( كلمة الله ) بالنصب عطفاً على ( كلمة الذين ) وهو دون الرفع في البلاغة»<sup>(2)</sup>. وقراءة الرفع أثبت في الإخبار<sup>(3)</sup>. وفي قراءة الرفع تكون «جملة ( وكلمة الله هي العليا ) مستأنفة بمنزلة التذييل للكلام؛ لأنّه لما أخبر عن كلمة الذين كفروا بأنّها صارت سفلى، أفاد أنّ العلاء المحصر في دين الله وشأنه. فضمير الفصل مفيد للقصر، ولذلك لم تعطف ( كلمة الله ) على ( كلمة الذين كفروا) إذ ليس المقصود إفادة جعل كلمة اللّهُ عليا، لما يُشعر به الجعل

1) الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، ط3، 2005م، 2/ 517-518

2) الألوسي، محمود، روح المعاني، قرأه محمد حسين عرب، دار الفكر، 1994م، 10/144

3) أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، 1420هـ. 5/422.

من إحداهن الحالة، بل إفادة أنّ العلاء ثابت لها ومقصود عليها، فكانت الجملة كالتذييل لجعل كلمة الذين كفروا سفلى<sup>(1)</sup>.

6- مناسبة جملة التذييل لما قبلها مضموناً ودلالةً، وموافقتها لحال السامع من حيث توقع تساؤله عن حيثيات الحكم تعليلاً، أو شيئاً قد يجده في نفسه مثل: (والله عليم حلِيم)<sup>(2)</sup> في سياق المواريث؛ فهو عليم بما يصلح أحوالكم. ومثل قوله تعالى في نفس السياق: (فريضة من الله)<sup>(3)</sup>. أو تنبيهاً ونحو ذلك، وهذا يتطلب من المتلقي أن يكون على قدرٍ من القدرة على الفهم وبما يتناسب مع قدراته (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)<sup>(4)</sup>، وصولاً إلى التلقي الابتكاري البتاء، ويتمثل دور المتلقي في الاستدلال على الشيء بما هو أعم منه، أو في الاستدلال على العلاقات الدلالية التي لم يصرح بها الخطاب<sup>(5)</sup>. وهي مفهومة في كثير من جمل التذييل لمن يقرأ بتدبر ويلاحظ مناسبة القول لما قبله ولما بعده. وهذا لا يكون إلا بالقراءة والتأمل، إذ إنّ قيمة التأمل ستؤدي إلى انبثاق الأغراض البلاغية غير المصرح بها مثل:

1- الاستنكار، كما يظهر من الوقف، ثم الابتداء بالاستفهام، كالوقف على قوله: ( شيئا ) والابتداء بقوله: ( أتأخذونه ) من قوله تعالى: ( وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَأَنْتُمْ إِحْدَاهُنَّ

(1) بن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م، 10/ 205.

(2) النساء: 12.

(3) النساء: 12.

(4) القمر: 22.

(5) محمد العبد، 87.

قَنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بِهَيْتَانَا وَإِنَّمَا مِثْنَا (20))<sup>(1)</sup>. فقوله تعالى: ( أتناخذونه بهتانا وإنما ميينا) استئناف مسوق لتقرير النهي، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.<sup>(2)</sup> وقوله تعالى: (فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنِينَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ نَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88) النساء. وقوله تعالى: (بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِيتُّهُنَّ عِنْدَهُنَّ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) النساء. والاستفهام في الآيات للإنكار والتوبيخ. ولا تظهر جمالية الاستئناف وقيمة التوبيخ والإنكار إلا بعد تأمل قصير بسبب من الوقف. إذ قد تخفي هذه القيم الجمالية مع الوصل، أو لا يدركها القارئ.

2- التعليل. وهو على أنماط، إذ قد يدرك القارئ، بوصفه مؤمناً، الحكم، ولكنه لم يدرك تعليله أو ما يلحقه من إغراء. ومنه ما يفيد الوقف على قوله: ( بالعدل) ثم الابتداء بقوله: ( إن الله) في قوله تعالى: ( إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنْ اللَّهُ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (58) النساء. فكان القارئ قد أدرك الحكم، ولم يدرك تعليله. ومع الوقف وإيمان المتلقي وإدراكه للأمر والحكم الإلهيين يأتي قوله: ( إن الله نعمًا يعظكم به) بعد الوقف ليكون في حكم التأكيد والتعليل والإغراء للحكم في أول الآية. أو للقضاء على وهم سابق أو متحصل لدى المتلقي كالوقف على قوله: ( صلحا) والابتداء بقوله: ( وأحضرت) من قوله تعالى: ( وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (128) النساء. ومنه

(1) النساء:20.

(2) الألويسي، روح المعاني، 4/ 380

تعليل النهي في قوله تعالى: ( وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا (140) النساء. قوله تعالى: ( إنكم إذا مثلهم) تعليل للنهي.<sup>(1)</sup> وقوله سبحانه: ( وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا (22) النساء. فقد أفرد هذا النوع من التحريم للمبالغة في تحريمه وتشنيعه، ثم خص هذا النكاح بالنهي ولم ينظم في سلك نكاح المحرمات في الآية التالية لهذه الآية مبالغة في الزجر، فقله: ( إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) تعليل للنهي وبيان لكون المنهي عنه في غاية القبح<sup>(2)</sup>. ومما قد يدخل في التعليل الوقف في قوله تعالى: (فلا يحزنك قولهم) ثم الابتداء بقوله سبحانه: ( إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون).

3- الخروج من الخصوص إلى العموم. أي من خصوص الخطاب وسياقه إلى عمومية الحكم ومنه قوله تعالى: ( قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ) من قوله سبحانه: (أَيُّهَا تَكُونُوا يُذَرِّكُمُ الْمَوْتَ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)<sup>(3)</sup> وكما في التذييل في كثير من الآيات التي يأتي فيها التذييل إخباراً عن الله تعالى فإنه وإن كان الإخبار موافق لموضعه وسياقه فإنه عام ويخرج إلى كل سياق وحال كما في قوله تعالى: ( واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما) ثم الوقف والاستئناف بقوله: ( إن الله كان تواباً رحيمًا) فقبوله التوبة سبحانه ورحمته غير مختصين بهذا الموقف والسياق وإن كانا ضمنه، وقد أتى

(1) الشوكاني، فتح القدير، 832 / 1

(2) الألوسي، روح المعاني، 387/4

(3) المائدة: 32.

التذليل هنا على هيئة الاعتراض في السياق، فبعده قوله تعالى: ( إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة.... ) إلى قوله: ( عذاباً أليماً ) وبعدها قوله تعالى: ( يأيتها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً.. ) فعاد الحديث إلى سياق النساء.

4- التأكيد؛ كما في التذليل في قوله تعالى: ( يوصيكم الله في أولادكم.... ) إلى قوله: ( أو دين ) ثم الوقف والاستئناف بقوله: ( آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا ) ثم ( فريضة من الله ) ثم وقف واستئناف بقوله: ( إن الله كان عليماً حكيماً ) فقد ظهر من الوقف على قوله: ( أو دين ) والابتداء بقوله: ( آباؤكم وأبناؤكم ) تعليل واقعي بما يعلمه الله وبما يشاهده البشر من تجارب الحياة، ولعل في قوله: ( فريضة من الله ) ما يؤيد أن النفس البشرية تنزع نحو تفضيل بعض على بعض. ثم أتى بتأكيد لمضمون كل ما سبق في الآية، وابتداء معنى جديد ينبغي أن لا يغيب عن بال المؤمن فيرضى بأمر الله وإن لم يدرك تعليله في قوله سبحانه: ( إن الله كان عليماً حكيماً ) وكأنَّ القراءة بالتوقف ثم الاستئناف، فيها مراعاة للقارئ؛ لأنَّه سيتأمل في الفكرة المعروضة في الآية، وقد يكون فيها ما يخالف رغبته وهواه في تعامله مع الموارد. فجاء الوقف في الموضع الأول، للتنبيه ومراجعة أمور الحياة وتجارب الآخرين وربما تجربة المرء ذاته مع أقاربه، ثم جاء التوقف الثاني يحمل في طياته توجيهاً صريحاً بالرضى والطمأنينة بما أَرَادَهُ اللهُ لَأنَّهُ ( عليم حكيم ) قال الزجاج: « معنى الكلام أنه تعالى قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وَكَّلَ ذلك إليكم لم تعلموا أيهم أنفع لكم، فتضعون الأموال على غير حكمة، ولهذا أتبعه بقوله: ( إن الله كان عليماً حكيماً ) أي عليم بما يصلح لخلقه، حكيم فيما فرض. قال ابن عطية: وهذا تعريض للحكمة في ذلك، وتأنيس للعرب الذين كانوا يورثون على غير

هذه الصفة « (لج). والتذييل بقوله: ( إن الله كان عليماً حكيمًا) يتناسب مع سياق القول ومقام الخطاب؛ فالآية في تنصيب المواريث والنهي عن المفاضلة بين مستحقي الميراث كما كان العهد عليه في الجاهلية، وقوله في الآية التالية لهذه الآية: ( والله عليم حليم ) تذييل، وذكر وصف العلم والحلم هنا لمناسبة أن الأحكام المتقدمة إبطال لكثير من أحكام الجاهلية ، وقد كانوا شرعوا مواريثهم تشريعاً مثاره الجهل والقساوة. فإن حرمان البنت والأخ للأّم من الإرث جهل بأن صلة النسبة من جانب الأمّ مماثلة لصلة نسبة جانب الأب. فهذا ونحوه جهل، وحرمانهم الصغار من الميراث قساوة منهم» (□).

5- إثبات صفة أو الإخبار عنها؛ تقريراً أو خروجاً إلى غرض بلاغي، وهذا متداخل مع الأغراض التي سبق ذكرها في كثير من الآيات التي اختتمت بتذييل على هيئة الاعتراض، وكما في الآية التي مرت بنا فقوله: (إنّ الله كان عليماً حكيمًا) تقرير لا يختص بموضوع المواريث، بل فيه إخبار عن الله تعالى في قدره وتقديره. ونظائر هذا كثير ومنه قوله تعالى في الآية ( والله عليم حليم) فهو إن كان المقام والسياق يؤيدان أنّ في هذا القول تهديد أو تنبيه ووعظ بعد الانتهاء من ذكر الأنصبة جاء قوله ( والله عليم حليم ) عليمٌ بمن جار أو عدل في وصيته ( حَلِيمٌ ) عن الجائر لا يعاجله. وهذا وعيد<sup>(3)</sup>. وهو -سبحانه- عليمٌ بالمضار وغيره ، وقيل : بما دبره بخلقه من الفرائض ( حَلِيمٌ ) لا يعاجل بالعقوبة فلا يغترُّنَّ المضار بالإمهال أو لا يغترُّنَّ مَنْ خالفه فيما بيَّنه من الفرائض بذلك، والإضمار في مقام

(1) أبو حيان، البحر المحيط، 3/ 543

(2) بن عاشور، التحرير والتنوير. 4/ 267.

(3) الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت. 517/1.

الإظهار لإدخال الروعة وتربية المهابة<sup>(1)</sup>. وقد جاء بعدها قوله تعالى: ( تلك حدود الله). كما أن قوله: ( إن الله كان عليماً حكيماً ) وقوله: ( والله عليمٌ حلِيم ) قد أتيا على هيئة الاعتراض فهما قولان واقعان ضمن سياق واحد متصل هو سياق الميراث والأنصبة وتوزيعها، ومعلوم أنه لا يأتي الاعتراض إلا لتوكيد أو زيادة دلالة.

6- التهديد والتحذير. كما في قوله تعالى: ( لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَحِذُّ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ) (123)<sup>(2)</sup>. وفي الجملة ( من يعمل ) ما ترجف له القلوب من الوعيد الشديد<sup>(3)</sup>. وكما في قوله تعالى ( والله عليم حلِيم ) بعد بيان الأنصبة) إذ جاء السياق بعده بقوله سبحانه: ( تلك حدود الله .. ) وكما في قوله سبحانه: ( وقد نزل عليكم في الكتاب... حتى يخوضوا في حديث غيره) وقف وبعده قوله تعالى: ( إنكم إذا مثلهم ) ثم وقف وبعده قوله سبحانه: ( إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ) وفي قوله: ( إِنْ كُنْتُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ) تعليق للنهي أي: إنكم إن فعلتم ذلك، ولم تنتهوا، فأنتم مثلهم في الكفر. قيل: وهذه المماثلة ليست في جميع الصفات، ولكنه إلزام شبه بحكم الظاهر كما في قول القائل: وكل قرين بالمقارن يقتدي ...<sup>(4)</sup>. وهذه المماثلة لهم خارجة مخرج التغليظ والتهديد والتخويف، ولا يصير المؤمن منافقاً بجلوسه إلى المنافقين، وأريد المماثلة في المعصية لا في مقدارها، أي أنكم تصيرون مثلهم في التلبس بالمعاصي. وقوله: ( إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ) تحذير من أن يكونوا مثلهم، وإعلام بأن الفريقين سواء في

(1) الألوسي، روح المعاني، 4/ 363

(2) النساء: 123

(3) الشوكاني، فتح القدير، 1/ 821

(4) الشوكاني، فتح القدير، 1/ 832

عداوة المؤمنين، ووعيد للمنافقين بعدم جدوى إظهارهم الإسلام لهم). وكما في آخر آية من السورة ( النساء) فقد جاءت ختاماً للمواريث وفيها موضعان للوقف الأول ( يبين الله لكم أن تضلوا) بعد بيانه لنتوى الكلاله، والثاني بعد قوله: ( يبين الله لكم أن تضلوا) وهو قوله: ( والله بكل شيء عليم) وقد ابتدأ الحديث عن الميراث وختمه بتذييل العلم والبيان في موضعين: الأول في قوله: ( وكان الله عليمًا حكيمًا) في الآية (11) وقوله: ( والله عليم حكيم) في الآية (12) والثاني في آخر السورة في قوله: ( والله بكل شيء عليم). وفي قوله: ( يبين الله لكم أن تضلوا) امتنان<sup>(1)</sup>.

7- ونلاحظ أن ما بعد الوقف في التذييل يمكن أن نعده نصًا قائمًا بذاته وله استقلالية نصية تامة، إذ هو بناء مركب وفق قواعد بنائية تامة، وله دلالة واضحة في ذاته، ويحمل رسالة إلى المتلقي؛ هذه الرسالة لها القدرة على إكساب مفاهيم ومعارف منها، وهي قادرة على البقاء في ذهن المتلقي بصيغتها اللغوية وبأثرها الدلالي والجمالي. كما مر بنا في قوله تعالى: ( وكان الله عليمًا حكيمًا) وقوله سبحانه: ( والله عليم حكيم). ذلك أنا إذا أخذنا التذييل مع ما قبله فسنجد وجود دلالات غير مصرح بها لفظاً ولها حضور عقلي ومفهومي تحمله الصيغة كما وردت في السياق.

و باعتبار أن التذييل مما يصح أن يكون بنية نصية مكتملة فالقول ( والله غفور رحيم، ونحوه، بنية نصية مستقلة ) فيسكون التذييل ناقلاً لمفهوم، موصلاً لرسالة، وحاملاً لتوجيه؛ ذلك أنه لم ترد تلك البنية النصية إلا لدلالة ما كتوكيد رسالة، أو إشباع مفهوم، أو لفت نظر المتلقي وتنبهه من غفلته، أو إحالته إلى مفهوم أوسع لهذا المفهوم أو الموضوع في النص التذييلي. ولهذا النص ( التذييل) القدرة على إحداث أثر بفاعلية مستمرة تفيد مع الرسالة السابقة له ومع بقية الرسائل، وتفيد في إحداث أثر تربوي

(1) بن عاشور، التحرير والتنوير، 6/ 67.



في المتلقي وأثر توجيهي يساند محصلة ما ذكر في النص كاملا ( في الآية ) أو السياق ( بعد القصص ) والله أعلم. ومن ثم فإن جملة التذييل -غالبًا- لها قوة الاستدلال، و لها صفة العموم في الحكم بعد الخصوص في السياق؛ فالله عليم حلیم، ليس في موقف الموارث فقط بل في كل موقف، وكذا غفور رحيم ونحوهما. مما ورد على لفظ القرآن وليس على لسان الأنبياء أو المتحاورين، والفرق بينهما أن لفظ القرآن تقرير حكم مصدره إلهي مطلق، وما كان على لسان المتحاورين تقرير لحكم معرفي أو اعتقادي عند المتكلم والفرق بينهما فرق لطيف دقيق. في حين أن موضوع الآيات موضوع جزئي، وأحكامه أيضاً جزئية تتعلق بذلك الموضوع ذاته. وقد يتكرر الحكم وتختلف القضايا مثل قوله: ( تلك حدود الله ) بعد الموارث وبعد الطلاق مثلا. أو ما سماه حازم إعطاء حكم كلي في بعض ما يتعلق بالأغراض الإنسانية من أمور قصد إليها الفصل، ففي الآيات حكم كلي إلهي في بعض الأغراض التي قصدت إليها توجيهات الآية ومقتضياتها، وأيضاً حكم كلي عام.

7- قد يأتي ما بعد الوقف على هيئة الجملة المعترضة داخل سياق الجمل فيحمل عنصر المفاجأة والتأمل، ففي قوله تعالى: ( وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا )<sup>(1)</sup>. فبعد الوقف على كلمة «حنيفاً» جاءت الجملة الاعتراضية «واتخذ الله إبراهيم خليلاً» لتؤكد على قيمة وفضل شخصية إبراهيم الذي فضل الله من اتبع ملته فتفاجئ القارئ بأن الله اتخذ إبراهيم خليلاً زيادة في الحث على اتباع ملته وفيها إشارة إلى «تأكيد وجوب اتباع ملته، لأن من بلغ من الزلفى عند الله أن اتخذ خليلاً كان جديراً بأن تتبع ملته وطريقته»<sup>(2)</sup>

(1) النساء 125.

(2) الزمخشري، الكشاف، 1 / 602، 603.

8- الالتفات الضمني، وأقصد به أن الخطاب جميعه من الله تعالى، إلا أنه في أول الآية له مساق واتجاه، وبعد الوقف كأن السياق قد اختلف من العموم إلى الخصوص، أو العكس، ومن الحكم إلى العلة، ومن التوجيه إلى التفضل والمن والرحمة، أو إلى التذكير، كما يفيد التشويق والتأكيد، والتنبيه. قال الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ)<sup>(1)</sup>، فكان الخطاب للمؤمنين في أول الآية إلى قوله «بغير علم» فصار الوقف ليلتفت إلى خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ). فهذا التذييل إلتفات من خطاب المؤمنين إلى خطاب رسوله يحمل إنذاراً ووعيداً للذين يتجاوزون الحد في التحليل والتحريم<sup>(2)</sup>.

الامتاع السمعي للوقف سواء كان بالإيقاع المقيد أو الإيقاع المطلق على ألف عدولا عن التنوين، أو التسكين عدولا عن الإطلاق كما في قوله تعالى: ( فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ، وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ)<sup>(3)</sup> فالوقف على النون بالتسكين يحدثنا ترنما له صدى إيقاعي تستعذبه الأذن ويحيل على دلالات تأكيدية لمعنى الإكرام والإهانة لفرح الإنسان في الأولى وتبرمه في الثانية.



(1) الأنعام 119.

(2) ينظر: رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م. ج 8، ص 18.

(3) الفجر: الآيتان، 15، 16.

## خاتمة البحث:

خلص البحث إلى عدد من وظائف الوقف البلاغية في النص القرآني تمثلت في:

- 1- دلالة التنبيه على الجملة أو الحكم الوارد فيها.
- 2- تحقيق غرض إبلاغي و آخر بلاغي معنوي، كالفصل والوصل والتنبيه والتحذير والإغراء والتشويق وغير ذلك.
- 3- إعطاء فرصة للقارئ والمستمع في التأمل، وما يتبع ذلك من أغراض بلاغية.
- 4- مبنى الفواصل قائم على الوقف لكمال الدلالة.
- 5- تحقيق صورة أداء الحروف.
- 6- تتعلق به بنية الكلام لا سيما في الفصل والوصل.
- 7- الإيجاز وحمل الدلالات دون التلفظ بالأصوات.
- 8- التأثير في السامع بصفته عامل إقناع واحتجاج.

## قائمة المصادر والمراجع

- 1- الألوسي، محمود، روح المعاني، قرأه محمد حسين عرب، دار الفكر، 1994م
- 2- أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 7، 1985م.
- 3- البصري، أبو الحسن علي بن أبي الفرج، الحماسة البصرية، تحقيق: مختار الدين أحمد، عالم الكتب بيروت.
- 4- الجاحظ، عمر بن بحر بن محبوب، البيان والتبيين، تقديم: علي أبو ملح، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988م.
- 5- ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية.
- 6- جيلين، ويلسون. سيكولوجية فنون الأداء، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون - الكويت، العدد (258) يونيو 2000م.
- 7- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، 1420هـ.
- 8- الداني، أبو عمر عثمان بن سعيد، المكتفى في الوقف والابتداء، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار عمار، ط1، 2001م.
- 9- أبو داود، سليمان بن الأشعث، السنن، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- 10- رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- 11- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1957م.
- 12- الزمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- 13- السخاوي، علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، تحقيق: د. مروان العطية - د. محسن خرابة، دار المأمون للتراث - دمشق - بيروت، ط1، 1997م.
- 14- السعران، محمود: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر، القاهرة ط1، 1992م.
- 15- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974م.
- 16- الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، ط3، 2005م.
- 17- صالح، إبراهيم عوض، الوقف والابتداء وصلتهما بالمعنى في القرآن الكريم، جامعة الأزهر 2006م.

- 18- الصفاقسي، علي بن محمد، تنبيه الغافلين وإرشاد الجاهلين عما يقع لهم من الخطأ حال تلاوتهم لكتاب الله المبين، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله.
- 19- بن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس 1984م.
- 20- عبد الله، محمد فريد، الصوت اللغوي ودلالته في القرآن الكريم، المكتبة الجامعية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 2008م.
- 21- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت 1419هـ.
- 22- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيقي: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ - 1995م.
- 23- العوني، عبد الستار بن محمد: (مقاربة تاريخية لعلامات الترقيم)، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد السادس والعشرون، العدد الثاني، أكتوبر/ ديسمبر 1997م
- 24- فريس، إيمانويل، و موراليس، برنار، اقضايا أدبية عامة، ترجمة: د. لطيف زيتوني، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، عدد (300) فبراير 2004م.
- 25- القيرواني، أبو الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجليل، ط5، 1981م.
- 26- المالكي، عثمان بن عمر، الشافية في علمي التصريف والخط، تحقيق: د. صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2010م.
- 27- المتوق، أحمد محمد، الحصيلة اللغوية أهميتها وسائل تنميتها عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون- الكويت، العدد (212) أغسطس 1996م.
- 28- معيلي: د. عادل، و عبيد الله، د. سالم مبارك: (الوقف وأثره النحوي)، بحث علمي مخطوط، جامعة حضرموت.
- 29- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق: إبراهيم اليازجي وآخرين، دار صادر- بيروت، ط3، 1414هـ.
- 30- ناصف، مصطفى، الوجه الغائب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2006م
- 31- النويري، محمد بن محمد، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: الدكتور مجدي محمد سرور سعد باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 2003م.
- 32- وهبة، مجدي، والمهندس، كامل، المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.

